

سلسلة كتب التصوف الإسلامى

الكتاب الرابع والعشرون

أصول التصوف فى القرآن

الكريم والسنة المحمدية

المعالم الصوفية فى قصة

سيدنا موسى والخضر

عليهما السلام

للأستاذ الدكتور

جودة محمد أبو اليزيد المهدى

أستاذ ورئيس قسم التفسير وعلوم القرآن الكريم

وعميد كلية القرآن الكريم بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف
المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وورثته الأولياء
العارفين. رضى الله عنهم وسلك بنا سبيلهم
وحشرنا في زمرة يوم الدين.

وبعد

فإن مهمة تأصيل مبادئ التصوف الإسلامى
وسلوكياته الراشدة أصبحت من أهم الضروريات فى
عصرنا الحاضر الذى تتقاذفه ألسنة الفتن المذهبية الجامحة
من كل حذب وصوب، ومن أبرزها تلك التى تستهدف
عزل التصوف الإسلامى — الذى يمثل جوهر الإسلام
وذروة روحانيته — عن رحاب هذا الدين، وترغم عزو
أصوله وسلوكياته إلى مصادر غير إسلامية. فكان من
حتميات المنهج العلمى الصوفى إبراز الأصول القرآنية
للتصوف واضحة جلية المعالم لتستقر فى الأذهان مصداقية
انتمائه المباشر للكتاب والسنة.

فكان هذا البحث العلمى القرآنى الصوفى خطوة على
الطريق تعقبه خطوات وخطوات لتجسيد حقيقة التصوف
نابعة من معين الوحيين النيرين (الكتاب والسنة). وأسأل
الله تعالى دوام التوفيق والقبول والنفع العميم.
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدى
عميد كلية القرآن الكريم
وعضو اللجنة العلمية
بالمجلس الصوفى الأعلى بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

في محيط أنوار التتريل الحكيم تتكشف الحقائق العرفانية لأولى البصائر النيرة والقلوب المحررة من رق الأقفال وأسر الريون والأهواء، فتستمد هذه القلوب بالتدبر القرآني والاستغراق التعبدى ذاتيتها الربانية باسطة أجنحة العقل في أفق سماء النقل لتقتات من هدى القرآن العظيم زاد المعرفة الحقانية، وتقتبس من ضيائه نور اليقين، وتتعرف معالم السلوك القويم إلى جناب رب العالمين.

وفي عباب بحار معاني التتريل الزاخرة يتعرف أولو الألباب الفقهاء عن الله تعالى بمجامع العلوم وأصول الحقائق ويتكشفون عما آتاهم الله من فرقان معارف الدين في أطرها الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والاحسان، يقول حجة الإسلام الإمام الغزالي قدس الله سره: (فالعلوم كلها داخلية في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن)^(١).

وقد أدرك سلفنا الصالح رضوان الله عليهم — بالتحقق والتدبر والاستنباط والتأويل العرفاني بالفهم عن الله تعالى — موسوعية معاني

^(١) الإمام أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: ٢٦٠/١ ط / العثمانية.

التزليل واستيعابها لعلوم الأولين والآخرين بله ما استأثر الله تعالى بعلمه، فقال سيدنا على كرم الله وجهه (لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من فاتحة الكتاب)، وقال الإمام عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه : (من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن)^(١)، وهذان الأثران الجليلان مؤثران للإطلاق والاستغراق في قوله تعالى: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)^(٢) وقوله سبحانه: (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)^(٣)، ثم كان للسنّة النبوية الشريفة دور التبيين للتبيان، حيث قال تعالى شأنه (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون)^(٤)، وكذلك لها الحكم والفصل عند التزاع في الحقائق والاختصاص في الحقوق إذ قال عز من قائل: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله..^(٥))، ومن ثم : كان في الالتزام بهدى الوحيين النيرين عصمة القلوب والعقول من الزيغ والزلل.

وقضية التصوف الإسلامى من أبرز القضايا التى أحتدم التزاع فيها والجدل حولها، ولبت الفكر الإسلامى فى معالجتها أحقابا طولا من الدهر ما بين إثبات مثبت وإنكار معاند وتطرف مقيت،

^(١) نفس المصدر والصحيفة.

^(٤) سورة النحل: الآية الكريمة ٤٤.

^(٢) سورة الأنعام: الآية الكريمة ٣٨.

^(٥) سورة النساء: الآية الكريمة ١٠٥.

^(٣) سورة النحل: الآية الكريمة ٨٩.

وتقمصت الأهواء والبدع فيها النفوس والعقول، وما كان لهذا النزاع والصراع أن يجدا سبيلهما إلى القلوب المنكرة والحجى المتنافرة لو أنهما اعتصمت بحبل الله المتين وتحاكت إلى صاحب السنة الأمين ﷺ، ولكن جموح الفكر وشطط الهوى قد اجتذبا القضية من أطراف عديدة بعيدا عن الموضوعية العلمية للتحاكم فيها إلى رأى المذهبي الأبق عن هدى الكتاب والسنة.

من ثم حق على القرآنيين وحملة لواء السنة أن يضعوا القضية تحت مجهر الوحيين النيرين للحسم فيها بكلمة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) التى لا معقب لها ولا مقنع من غيرها.

ومن هنا جاء دور هذا البحث لتأصيل جملة من المبادئ والقواعد التى تمثل جوهر التصوف الإسلامى فى إطاره القرآنى والسنى بعيدا عن الشقشقة الفارغة فى مناقشة تسميته الاصطلاحية التى يمكن بسهولة إحلال العديد من البدائل القرآنية والحديثية محلها مثل (التزكية)، (الربانية) و(الإحسان) وغيرها^(١) فالمهم هو الجوهر،

^(١) أنظر معالجة التسمية الاصطلاحية للتصوف فى اللامع للطوسى ٤١-٤٢ ط ١٩٦٠م، وفى الرسالة القشيرية (١/٦٢ ط ١٩٧٢م)، وفى كتاب: ربانية لا رهبانية لأى الحسن الندوى (ص ١١-٢٧ طبع دار الشروق ١٩٨٣م)

والحقيقة، والمبادئ، والقواعد، والمنهج، والغاية. وقد وجدت في قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح سيدنا الخضر — على نبينا الأعظم وعليهما الصلاة والسلام — كما صورها القرآن والسنة الصحيحة: — مصدرا جزيلا ثريا بالعطاء، فيه تتضح الرؤى والمعالم، ونغتني الفوائد والمقاصد، وتستقي المبادئ التي ترسخ قواعد السلوك الصوفي الرشيد إلى غاية لا منتهى لها في أرض الحقيقة، فلا يتبقى بعد لمتنطع أن يزعم عزل التصوف عن ساحة التزويل وعزوه إلى مصادر أجنبية عن الإسلام.

وقد ارتأيت في تأصيل أبرز المعالم الصوفية من الوحيين النيرين أقوم سبيل لحسم النزاع في القضية بعيدا عن المنطق الجدلي والسفسطة العقيمة إذ لا طائل من ورائهما إلا إلهاب أوار الخلاف وإذكاء روح النزاع ونعوذ بالله تعالى منهما، فلنول وجوهنا جميعا شطر القرآن العظيم والسنة المطهرة بروح النصفة والتجرد ما دمننا طلاب حقيقة !!.

وسنبداً — بتوفيق الله تعالى — بسوق القصة بنص القرآن الكريم

أولا ثم نتبعه بإيرادها في الحديث الشريف ثانيا، ثم نشرع في استقراء
المعالم الصوفية الوضوء من نصي الوحيين النيرين في ضوء أقوال
الراسخين في العلم من أثبات المفسرين والمحدثين وأئمة العارفين بالله
تعالى رضوان الله عليهم أجمعين.

يقول تعالى شأنه في سورة الكهف:

"وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي
حقبا* فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوقما فاتخذ سبيله في البحر
سربرا* فلما جاوزا قال لفتهاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا* قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما
أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً* قال
ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا* فوجدنا عبدا من عبادنا
آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما* قال له موسى هل
أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا* قال إنك لن تستطيع معي
صبرا* وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا* قال ستجدني إن شاء
الله صابرا ولا أعصى لك أمرا* قال فإن اتبعتن فلا تسألني عن شيء
حتى أحدث لك منه ذكرا* فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها
قال أخرجتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا. قال ألم أقل إنك لن
تستطيع معي صبرا* قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من

أمرى عسرا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية
بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا* قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع
معى صبرا* قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت
من لدنى عذرا* فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا
أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت
لاتخذت عليه أجرا* قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم
تستطع عليه صبرا* أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر
فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا* وأما
الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا* فأردنا
أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما* وأما الجدار فكان
لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما
فعلته عن أمرى ذلك. تأويل ما لم تستطع عليه صبرا^(١).

وننتقل إلى السنة النبوية الشريفة فنجد جوامع الصحاح والسنن
قد تضافرت على إيراد القصة من طرق شتى متضمنة بيان النص
التزيلي بإبراز تفاصيل وتوضيحات لعديد من الجملات فى القصة
يتصدرها تحقيق شخصية الطرف الأول فيها وهو سيدنا موسى

^(١) سور الكهف: الآيات الكريمات ٦٠ — ٨٢.

الرسول على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وبيان سبب ارتخاله إلى العبد الصالح الذى صرح الحديث الشريف بأنه سيدنا الخضر عليه السلام إلى غير ذلك من التفاصيل التى تتكشف بها أبعاد وجوانب لها مدلولاتها المهمة فى القصة.

فيروى الشيخان رضى الله عنهما بسنديهما عن سيدنا سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال: قلت لابن عباس: إن نوحا البكالى^(١) يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله حدثني أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل، فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال: أنا^(٢) فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى: يا رب فكيف لى به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله فى

^(١) جاء فى رواية أخرى للبخارى: أن نوحا البكالى هذا رجلا قصاصا بالكوفة وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح (٢٣٢/٨) طبع البهية المصرية: أن اسم ابيه فضالة، وأنه منسوب إلى بنى بكال بن دعى بن سعد بن عوف — بطن من حمير — ويقال: أنه ابن امرأة كعب الأحبار، وقيل: ابن أخيه، وهو تابعى صدوق. أ هـ.

^(٢) جاء فى الرواية الأخرى للبخارى عن سيدنا أبى بن كعب رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (موسى رسول الله ﷺ قال: ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب ولى فأدركه رجل فقال: أى رسول الله هل فى الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا: فعتب عليه إذ لم يرد العلم إلى الله).

مكتل، فحيثما فقد الحوت فهو ثم!! فأخذ حوتا فجعله فى مكمل.
ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة
وضعا رءوسهما، فناما، واضطرب الحوت فى المكمل فخرج منه
فسقط فى البحر فاتخذ سبيله فى البحر سرباً^(١)، وأمسك الله عن
الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما أستيقظ نسى صاحبه
أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من
الغد قال موسى لفتاه: آتينا من غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا
نصباً. قال: ولم نجد موسى النصب حتى جاوزوا المكان الذى أمر
الله به. فقال له فتاه: رأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت
وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجباً.

قال: فكان للحوت سرباً ولموسى ولفتاه عجباً. فقال موسى:
ذلك ما كنا نبغى فارتدا على آثارهما قصصاً. قال: رجعا يقصان
آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى ثوباً، فسلم عليه

^(١) أورد الإمام البخارى فى رواية أخرى عن الإمام سفيان بن عيينة أنه قال: وفى حديث
غير عمر قال: (وفى أصل الصخرة عين يقال لها: الحياة، لا يصيب من مائها شئ إلا حيى،
فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك واسل من المكمل فدخل البحر) وقد
كان الحوت ميتاً بدليل ما رواه البخارى فى رواية أخرى عن يعلى أنه قال (قال خذ حوتا
ميتاً حيث ينفخ فيه الروح...)، ومن ذلك يتضح سر إحياء الحوت الميت المملوح، كما
ذكر الإمام الشرقاوى فى فتح المبدى (١/٢٤٩ طبعة صبح) أنه قيل: توضأ يوشع من عين
الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء.

موسى . فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام ؟
قال: أنا موسى . قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال: نعم. أتيتك
لتعلمنى مما علمت رشدا.

قال: إنك لن تستطيع معى صبرا. يا موسى: إني على علم من
الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من الله علمك الله لا
أعلمه.

فقال موسى: ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك
أمرأ. فقال له الخضر: فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث
لك منه ذكرا.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن
يحملوهم، فعرفوا الخضر، فحملوه بغير نول^(١).

فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح
السفينة بالقدوم. فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى
سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئا إمرا!!

قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا؟ قال: لا تؤاخذنى بما
نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا. قال: وقال رسول الله ﷺ:
وكانت الأولى من موسى نسيانا. قال: وجاء عصفور فوقع على

^(١) أى بغير أجرة.

حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من البحر !! ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فأقتلعه بيده فقتله^(١). فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟؟ لقد جئت شيئا نكرا!! قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟؟ قال - وهذا أشد من الأولى - قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا.

فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوا هما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض - قال: مائل - فقام الخضر فأقامه بيده. فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجرا. قال: هذا فراق بيني وبينك.. - إلى قوله-: (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا).

فقال رسول الله ﷺ: (وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما)^(٢).

(١) أورد الإمام البخاري في رواية أخرى عن سيدنا سعيد بن جبير قال: (وجد غلامنا يلعبون فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين).

(٢) أنظر: صحيح البخاري: كتاب العلم ١/١٧، ٢٤ وكتاب تفسير القرآن: ١٠٣/٣ - ٤٠٥ ط: حجازي - واللفظ منه - وأنظر صحيح مسلم بشرح النووي: كتاب

وفي القصة مرويات أخرى من عدة طرق أوردتها مصادر السنة الشريفة لا نطيل عنان الكلام بذكرها — مراعاة للمقام — ونكتفي بما أوردناه حيث يعتبر في نظرنا بمثابة متن القصة، وبقية الروايات تعطى إضافات بمثابة الشروح أو الحواشي، وقد يقتضينا البحث الرجوع إليها لتوضيح بعض الجوانب.

ولنفرد الآن لاستقاء المعالم الصوفية واستنباط المعطيات التي تؤصل جوانب التحقق والسلوك الصوفي الرفيع في إطاره القرآني الحمدي لدحض تلك المزاعم المارقة التي تنفي عن التصوف شرعيته الإسلامية وهويته القرآنية وأصالته المحمدية، وتصطنع الحيلولة الزائفة بين الصوفية الحققة والسلفية الصادقة، وتناجر بضرب الأولى بالثانية في دياجير الغيوبة عن حقائق القرآن والسنة.

(فالمعلم الأول) الذي نتعرفه في آيات هذه القصة هو ثبوت حقيقة العلم اللدني^(١) وهو العلم الخاص الذي لا يعلم إلا من جهته تعالى

الفضائل: ١٣٥/١٥ — ١٤٧ ط المصرية، وأنظر تخريج الحافظ السيوطي لروايات هذه القصة عن الشيخين والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وغيرهم: في الدر المنثور: ٢٢٩/٤ — ٢٤٠ نشر دار المعارف ببيروت.

^(١) لهذا العلم عند السادة الصوفية وإثبات العلماء والعارفين أسماء عديدة فيطلق عليه: علم الأسرار، وعلم المكاشفات وعلم الغيوب وعلم الموهبة، وعلم الحقيقة، والعلم المكنون،

وهو المثبت بقوله صلى الله عليه وسلم : (إن للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا)^(١)، وبقوله ﷺ (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء بالله، فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الغرة بالله عز وجل)^(٢)، ويعاضد ذلك: ما رواه الإمام البخاري عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين من علم، فأما أحدهما فبثته، وأما الآخر: فلو بثته قطع هذا البلعوم)^(٣).

وهذا المعلم مستفاد من قوله تعالى شأنه: (وعلمناه من لدنا علما). قال العلامة الزمخشري في تفسيره: (من لدنا: مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب)^(٤).

وقال الإمام فخر الدين الرازي رضوان الله عليه: قوله (وعلمناه من لدنا علما) يفيد أن تلك العلوم حصلت له من عند الله من غير

وعلم الباطن، وليس هو مدعى مذهب الباطنية المارق الذي لم يمت إلى التصوف بصلوة، ولا هو باطن الظاهر الذي يتفق معه ولا ينافيه وله مستمده وسنده من الوحيين التبرين.

^(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأخرجه عنه الحافظ العراقي في (المعنى عن حمل الأسفار بتحقيق ما في الأحياء من الأخبار). أنظره بحاشية الإحياء للإمام الغزالي ١/٨٨ ط: العثمانية.

^(٢) أخرجه الديلمي في مسند الفردوس عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه. أنظر الجامع الكبير للحافظ السيوطي ١/٢٧٠ وكثر العمال ١٠/١٨١.

^(٣) أنظر: صحيح البخاري: كتاب العلم: ١/٢٤ ط: حجازي.

^(٤) أنظر تفسير الكشاف للزمخشري ٢/٩٢ ط: الحلبي.

واسطة والصوفية سمو العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات: العلوم
الدنية، وللشيخ أبي حامد الغزالي رسالة في (إثبات العلوم
الدنية)^(١).

ثم تناول - عليه الرضوان - حقيقة هذا العلم بعد أن بسط له
بتقسيم المدرجات إلى تصديقية وتصورية، وإلى نظرية وكسبية،
والكسبية إلى ما يتحصل بتكلف الفكر والنظر والتأمل، وما يتحصل
بإشراق الأنوار الإلهية دون واسطة سعى في التفكير والتأمل وهو
العلم اللدني فقال: (النوع الثاني: أن يسمى الإنسان بواسطة
الرياضيات والمجاهدات في أن تصير القوى الحسية والخيالية ضعيفة،
فإذا ضعفت قوى القوة العقلية وأشرقت الأنوار الإلهية في جوهر
العقل، وحصلت المعارف، وكملت العلوم من غير واسطة سعى
وطلب في التفكير والتأمل، وهذا هو المسمى بالعلوم الدنية.

إذا عرفت هذا فنقول: جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية، فقد
تكون النفس نفساً مشرقة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق بالجواذب
البدنية والنوازع الجسمانية، فلا جرم كانت أبداً شديدة الاستعداد
لقبول الجلايا القدسية والأنوار الإلهية، فلا جرم فاضت عليها من
عالم الغيب تلك الأنوار على سبيل الكمال والتمام، وهذا هو المراد

(١) أنظر: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) للفهر الرازي ١٥٠/٢١ ط: دار الفكر بيروت.

بالعلم اللدنى، وهو المراد من قوله: (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما).

وأما النفس التى ما بلغت فى صفاء الجوهر وإشراق العنصر فهى النفس الناقصة البليدة التى لا يمكنها تحصيل المعارف والعلوم إلا بمتوسط بشرى يحتال فى تعليمه وتعلمه.

والقسم الأول بالنسبة إلى القسم الثانى كالشمس بالنسبة إلى الأضواء الجزئية، وكالبحر بالنسبة إلى الجداول الجزئية. وكالروح الأعظم بالنسبة إلى الأرواح الجزئية. فهذا تنبيه قليل على هذا المأخذ، ووراءه أسرار لا يمكن ذكرها فى هذا الكتاب^(١).

وقال الإمام أبو القاسم القشيرى رحمته الله فى تفسير قوله تعالى: (وعلمناه من لدنا علما): (قيل: العلم من لدن الله: ما يتحصل بطريق الإلهام دون التكلف بالتطلب ويقال: ما يعرف^(٢) به الحق - سبحانه - الخواص من صلاح عباده. ويقال: ما يعرف به الحق أوليائه فيما فيه صلاح عباده.

وقيل: هو ما لا يعود منه نفع إلى صاحبه بل يكون نفعه لعباده

^(١) أنظر نفس المصدر: ١٥١/٢١

^(٢) ضبط الفعل (يعرف) فى هذا القول والذى يليه: بضم أوله وفتح ثانيه وكسر ثالثه مع

التشديد.

مما فيه حق الله سبحانه^(١).

وقد نقل الإمام الآلوشى عليه رضوان الله تعالى طرفا من أقوال أئمة الصوفية رضوان الله عليهم فى ماهية العلم اللدى تفسيره الإشارى لقوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما)، فقال فى تفسيره (وقال ذو النون^(٢)): العلم اللدى هو الذى يحكم على الخلق بمواقف التوفيق والخذلان. وقال الجنيد^(٣) قدس الله سره: هو الاطلاع على الأسرار من غير ظن فيه ولا خلاف واقع، لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنون المغيبات ويحصل للعبد أن يحفظ جوارحه عن جميع المخالفات، وأفنى حركاته عن كل الارادات، وكان شبحا بين يدى الحق بلا تمنى ولا مراد، وقيل: هو علم يعرف به الحق سبحانه أوليائه ما فيه صلاح عباده. وقال بعضهم: هو علم غيبى يتعلق بعالم الأفعال، وأخص منه: الوقوف على بعض سر القدر قبل وقوع واقعه، وأخص من ذلك: علم الأسماء والنعوت الخاصة، وأخص

^(١) أنظر لطائف الإشارات للإمام القشيرى ٨٠/٤ نشر دار الكتاب العربى.

^(٢) هو الإمام أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم المعروف بذى النون المصرى المتوفى سنة ٢٤٥هـ ترجم له الإمام القشيرى فى الرسالة (١/٥٤ ط دار التأليف)، وقال فيه (فائق فى هذا الشأن — أى التصوف — وأوحد وقته علما وورعا وحالا وأدبا) رضى الله تعالى عنه.

^(٣) هو الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٢٩٧هـ قال عنه صاحب الرسالة القشيرية (١/١٠٥) (سيد هذه الطائفة وإمامهم) رضى الله عنه وعنا به.

منه علم الذات (١).

ثم لقد أضاف الإمام العارف بالله تعالى الشيخ إسماعيل حقى رضوان الله عليه مفردات رائعة في تفسيره الفريد (روح البيان) إذ قال: (وعلمناه من لدنا علما خاصا وهو علم الغيوب والإخبار عنها بإذنه تعالى على ما ذهب إليه ابن عباس (٢) -رضى الله عنهما- أو علم الباطن. قال في بحر العلوم (٣): إنما قال (من لدنا) مع العلوم كلها من لدنه : لأن بعضها بواسطة تعاليم الخلق، فلا يسمى ذلك علما لدنيا، بل العلم اللدني هو الذي يتزل في القلب من غير واسطة أحد ولا سبب مألوف من خارج كما كان لعمر، وعلى، ولكثير من أولياء الله تعالى المرتاضين الذين فاقوا بالشوق والزهد على كل

^١ أنظر : روح المعاني للإمام الألوسي: ٢٢/١٦.

^(٢) جاء في رواية الإمام الطبري عن الإمام ابن عباس رضي الله عنه : أنه قال شأن سيدنا الخضر عليه السلام (وكان رجلا يعلم علم الغيب) ٩. كما أورد تفسيره لقوله تعالى (وكيف تصير على ما لم تحط به خبرا) بقوله: (أى: إنما تعرف ظاهر ما ترى من العدل ولم تحط بمن علم الغيب بما أعلم) أنظر: جامع البيان للإمام الطبري : ٢٨٠/١٥ ط: الحلبي.

^(٣) هو كتاب بحر العلوم في التفسير للشيخ الفاضل السيد علاء الدين على السمرقندي ثم القرماني تلميذ الشيخ علاء الدين البخاري المتوفى في حدود سنة ٨٦٠هـ أنظر كشف الظنون للحاجي خليفة ١/٢٢٥.

من سواهم) ^(١).

ثم ينقل عن مفسر صوفي جليل هو الشيخ نجم الدين دايدة رضوان الله عليه أنه قال في تفسير قوله تعالى (وعلمناه من لدنا علما) :-
(وهو علم معرفة ذاته وصفاته الذي لا يعلمه أحد إلا بتعليمه إياه).
ويوضح ذلك قائلا : (واعلم أن كل علم يعلمه الله تعالى عباده ويمكن للعباد أن يتعلموا ذلك العلم من غير الله تعالى فإنه ليس من جملة العلم اللدني لأنه لا يمكن أن يتعلم من لدن غيره، يدل عليه قوله (وعلمناه صنعة لبوس لكم)، فإن صنعة اللبوس مما علمه الله داود عليه السلام، فلا يقال أنه العلم اللدني، لأنه يحتمل أن يتعلم من غير الله تعالى فيكون من لدن ذلك الغير، وأيضا: إن العلم اللدني ما يتعلق بلدن الله تعالى، وهو علم معرفة ذاته وصفاته تعالى) ^(٢) أهـ.

ثم يفيض في بيان نوعية ذلك العلم الذي ذهب الكلبي لتلقيه من الخضر عليه السلام ومن أي أنواع العلم الباطني هو ؟ فيقول عليه الرضوان: (واعلم أن التحقيق الحقيقي في هذا المقام: أن العلم المأمور موسى عليه السلام بتعليمه من الخضر هو العلم الباطني المتعلم بطريق

^(١) (٢٩)، (٣٠) أنظر: تفسير روح البيان للعلامة الشيخ إسماعيل حقي ٢٧٠/٥ نشرة

دار إحياء التراث العربي - بيروت.

^(٢) نفس المصدر السابق.

الإشارة لا العلم الباطنى المتعلم بطريق المكاشفة، ولا العلم الظاهرى المتعلم بطريق العبارة.

والدليل عليه: إرسال الحق سبحانه موسى إلى عبده الخضر وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل، وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمر الثلاثة، لكن لما كان الظاهر بالنظر إلى غلبة جانب علم الظاهر فى وجود موسى أن يطلب تعلمه من طريق العبارة لا بطريق الإشارة، وطريقه: طريق الإشارة لا طريق العبارة قال: (إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) من طريق التعلم بالإشارة لا بالعبارة، والغالب عليك هو طريق العبارة، (ولكن وجهه هو موليها)^(١)، (قل كل يعمل على شاكلته)^(٢) أهـ^(٣). وبهذا البيان العرفانى الثاقب: نستجلى خصوصية وجهة هذا العلم الخضرى المميزة فى نطاق عموم العلم اللدنى، وأن ورود ذلك العلم حاصل بالطريق الاشارى. وقد أوتى سيدنا الخضر عليه السلام علم الإشارة والوراثه والباطن والحقيقة، ولذلك عبر عنه بلفظ العلم بناء على التعبير بالمطلق على الفرد الكامل بين أفراد، حيث أن العلم الباطنى من العلم الظاهرى بمثالة الروح من الجسد

^(١) من الآية الكريمة ٤٨ من سورة البقرة.

^(٢) من الآية الكريمة ٨٤ من سورة الإسراء.

^(٣) أنظر: تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى: ٢٧٢/٥.

والمعنى من الصورة، وكلاهما أى الظاهرى والباطنى له كماله الذاتى الحقيقى والافتراق بينهما من جهة التعين فلا يلغى أحدهما إثبات الآخر على الإطلاق.

بيد أنه لما كان مقام هذا العلم الباطنى مقام القرب الذاتى عبر عنه بقوله تعالى (من لدنا) أى: من مقام أحدية ذاتنا ومرتبته، لحصوله بمحض تعليم الحق تعالى من لدنه بغير واسطة عبارة^(١). ومن هذا المعلم العلمى الذى هو محور أحداث ومفادات قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر على نبينا وعليهما الصلاة والسلام: يتأصل ثبوت العلم اللدى ويسلم للسادة الصوفية المتحققين الإخبار عنه والعمل بمقتضاه طالما لا توجد أدنى منافاة بينه وبين ظواهر النصوص الشرعية المحكمة^(٢).

^(١) أنظر نفس المصدر ٢٧١/٥.

^(٢) نؤكد ههنا حرص أئمة الصوفية على ضرورة التمسك بظواهر النصوص الشرعية وعدم الالتفات إلى ما يناقضها مطلقا، بما نص عليه حجة الإسلام الإمام الغزالى قدس الله سره إذ يقول فى الإحياء (لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا، ولا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر) ويقول عليه الرضوان اثر تبيانهم أرباب القلوب لمعانى الأحاديث النبوية (وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره، فهذا ما نورد لفهم المعانى الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم) أنظر إحياء علوم الدين (١/٤٦٢)، ٢٦٤ ط: العثمانية).

ومن ثم لا يلتفت مطلقا إلى إنكار المحجوبين المتعصبين على أولياء الله تعالى المقربين إثباتهم العلم اللدني ولعلوم المكاشفات والمشاهدات ما دام الجمع بينها وبين ظواهر النصوص الشرعية ممكنا. وإني لأعجب من حدة التعصب في رفض التسليم بشرعية هذا العلم من قوم يدعون الانتماء إلى السلف الصالح ويزعمون أن ابن تيمية هو إمامهم وقدوتهم في رفض العلم الباطن، وفي تزيف علوم المكاشفة وما دروا موقف إمامهم من ذلك على الحقيقة!!.

إن ابن تيمية كان منصفاً للصوفية في إثبات هذا العلم وعده من خوارق العادات التي يكرم الله تعالى بها أوليائه، فقال في رسالة عقدها لهذا المبحث بعنوان (قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات) وهي ضمن مجموع الفتاوى له - (.. فما كان للخوارق من باب العلم : فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما، وتارة بأن يعلم ما لا يعلمه غيره وحيا أو إلهاما، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات : فالسمع مخاطبات والرؤية مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله (كشفاً) ومكاشفة أى : كشف له عنه^(١). ثم نجد ابن تيمية يطلق على هذه الخوارق

^(١) أنظر : مجموع فتاوى ابن تيمية : المجلد الحادى عشر (التصوف) ص ٣١٣.

العلمية الواقعة للأولياء اسم المعجزات - متأسيا في ذلك بالإمام -
أحمد بن حنبل رحمه الله ويعتد منها ما وقع في قصة سيدنا موسى
والخضر عليهما السلام فيقول: (وأما المعجزات التي لغير الأنبياء (من
باب الكشف والعلم) : فمثل قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي
بكر بأن بطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون
عادلا، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام^(١). إنها الحقيقة
عند ابن تيمية، ولنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية)!!.

وأما (المعلم الثاني) الذي نتعرفه في القصة القرآنية : فهو : أن
طريق الوصول إلى هذا العلم اللدني والتحقيق بمعرفة الله عز وجل
إنما هو صدق العبودية لله تعالى والقرب منه سبحانه بالتزام منهاجه
القويم، واتباع صراطه المستقيم حتى تتمخض عبودية العبد لسيدته
ومولاه فيقربه منه ويدنيه وينسبه لجناحه الأعلى ويؤتيه من رحمته رتبة
الولاية الكبرى.

(وهذا المعلم مستفاد من قوله تعالى: (فوجدنا عبدا من عبادنا
آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما)، فقد أثبتت الآية
الكريمة تحقق سيدنا الخضر - على نبينا وعليه السلام - بصدق

^(١) أنظر: نفس المصدر ص ٣١٨.

العبودية لله عز وجل ابتداءً، فكانت العبودية أول أوصافه، ثم اتبعت
بالإضافة إلى الجنب الأقدس حيث قمة التشريف والاختصاص،
يقول خاتمة المحققين وعمدة المدققين في التفسير الإمام الآلوسي قدس
الله سره في تفسير الآية الكريمة (والتنوين في (عبداً): للتفخيم،
والإضافة في (عبادنا): للتشريف والاختصاص، أى: عبداً جليل
الشأن ممن اختص بنا وشرف بالإضافة إلينا)^(١).

وقد بين أئمة العارفين أن السالك لطريق الله تعالى له في التحقيق
بالعبودية الحقّة مراتب ثلاث، فيقول شيخنا العارف بالله تعالى
سيدى أحمد ضياء الدين النقشبندى^(٢) عليه رضوان الله تعالى
(العبادة: هي غاية التذلل للعلمة، والعبودية: للخاصة الذين صححوا
النسبة إلى الله والصدق إليه في سلوك طريقه، والعبودية: خاصة
الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبودته، فهم يعبدونه به

(١) أنظر: روح المعاني للإمام شهاب الدين الآلوسي البغدادى ١٥/٣٢٠ ط: المنيرة.
هو الإمام العلامة خاتمة المحدثين وقطب العارفين سيدى أحمد بن مصطفى الكمشخانوى
(١٢٢٧ - ١٣١١ هـ) صاحب التصانيف الجامعة التي تربو على الخمسين مؤلفاً منها
رموز الأحاديث وشرح لوامع العقول (في خمسة مجلدات) وغرائب الأحاديث، وشرحه،
وجامع الأصول ومتمماته، وغيرها وهو شيخ شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ جودة
إبراهيم رحمته (جد الفقير إلى الله تعالى كاتب هذه السطور) أنظر ترجمة الإمام
الكمشخانوى في معجم المؤلفين - (١٧٨/٢).

في مقام أحدية الفرق والجمع^(١) ، ويقول الإمام الألوسي عليه
رضوان الله تعالى: (والعبودية - على ما نص عليه العارفون -
أشرف الأوصاف وأعلى المراتب، وبها يفتخر المحبون كما قيل: لا
تدعني إلا بيا عبدها

فإنه أشرف أسمائي وقال آخر: بالله إن سألوك عنى قل لهم
عبدى ومالك يدى وما أعتقته. وعن أبي القاسم الأنصارى أنه قال:
لما وصل النبي ﷺ إلى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله
تعالى إليه: يا محمد بم نشرفك؟ قال: بنسبتى إليك بالعبودية فأُنزل
الله تعالى: (سبحان الذى أسرى بعبده)^(٢). والفائدة التى نستخلصها
ونعص عليها بالنواجذ ونحن بصدد استقاء معطيات هذا المعلم: هي
أنه لا طريق إلى العلم اللدنى الذى هو ثمرة للولاية لله تعالى إلا التبعيد
له عز وجل بالتزام شريعته التزاما كاملا قدر ما تسعه طاقة العبد
دون تفريط فى حق من حقوق الله تعالى حتى تتحرر ذاتية العبد
وانيته من كل ما سوى الله سبحانه، هنالك تصدق عبوديته لله جل
جلاله وينسب إليه فيكون عبدا ربانيا، وما عدا ذلك فسبيل
للشيطان تبرأ منها الصوفية الحقّة والولاية الحقيقية لله تبارك وتعالى.

(١) أنظر: جامع الأصول للإمام أحمد ضياء الدين الكمشخانوى ص ٦٤ ط: الحلبي.

(٢) سورة الإسراء - أنظر: روح المعاني للإمام الألوسي ١٥/٤ ط: المنيرية

ومن ثم: لا يلتفت إلى دعاوى التحلل من قيود الشريعة وإسقاط
التكاليف والتخلي عن ظواهر نصوص الكتاب والسنة، وأنها دعاوى
إباحية قصد منها النيل من الصوفية وأولياء الله تعالى بقدر ما قصد
منها النيل من الإسلام ذاته.

وقد صادر أئمة التصوف أنفسهم رضوان الله عليهم على
تلك الدعاوى منذ عصر السلف الصالح في القرون الثلاثة الأولى،
فقال سيد الطائفة الصوفية الإمام الجنيد رضى الله عنه (الطرق كلها
مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة
والسلام)^(١). وقال: (مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة)^(٢).
وقد أثناه رضى الله عنه رجل وذكر عنده المعرفة وقال: أهل المعرفة
بالله يصلون إلى ترك الحركات - أى الأعمال - من باب التقرب
إلى الله عز وجل. فقال الإمام الجنيد قدس الله سره: إن هذا قول
قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عدى عظيم، والذي يسرق
ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى
أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه راجعوا فيها ولو بقيت ألف

^(١) أنظر: الرسالة القشيرية للإمام أبى القاسم عبد الكرم ابن هوازن القشيري ١٠٦/١

ط: دار التأليف.

^(٢) نفس المصدر ١٠٧/١.

عام، أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها^(١).

ومن ثم فليس هناك علم لدى إلا بالتعبد بالتزام شرع الله تعالى بامثال أوامره واجتناب نواهيه وليست هناك ولاية لله إلا بمتابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. والتركيز على هذه النقطة في ذروة الأهمية، لأن قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر على نبينا وعليهما السلام تعطينا في هذه الآية الكريمة: (فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) شروط الشيخ المرشد الذي يقتدى به في طريق الله عز وجل، فكان الشرط الأساسي الأول أن تتحقق فيه آداب العبودية لله عز وجل وواجباتها والتزاماتها التي أفرد لها القوم كتابا خاصة^(٢) وبتحقق هذه الواجبات والشروط والآداب ينال العبد ولاية الله تعالى ويعلم من لدنه علما.

* * * * *

وأما (المعلم الثالث) فهو تحقيق شخصية سيدنا الخضر على

^(١) نفس المصدر ١٠٦/١.

^(٢) من تلك الكتب - على سبيل المثال - كتاب الإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمته الله (الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية) وهو مطبوع وملحق بطبقاته الكبرى ط/ الشرقي، وليت المفتريين على الإمام الشعراني رضي الله عنه يقفون على هذا الكتاب ليتعرفوا مدى تحققه وممسكه بمدى الكتاب العزيز والسنة المطهرة بدلا من أن يتصيدوا له ما دس عليه مما يبرأ منه في تصانيفه.

نبينا وعليه السلام، والتنويه بمرتبه ومكانته من ربه عز وجل، فإن المراد بالعبد في قوله تعالى: (فوجدنا عبدا من عبادنا) هو سيدنا الخضر عليه السلام في قول جمهور العلماء والمفسرين،^(١) وبمقتضى الأحاديث الثابتة كما مر تخرجه عن الصحيحين وغيرهما. وقد تناول اثبات العلماء شخصية سيدنا الخضر بالتعريف لدى تفسير الآيات والأحاديث التي عرضت لقصته مع الكليم عليهما السلام، وتحقيق القول في حياته الممتدة إلى آخر الزمان والقول بنبوته أو ولايته إلى غير ذلك مما يتعلق بهذه الشخصية الربانية. فأما عن تسميته: فقد ذكر الإمام النووي - نقلا عن ابن قتيبة في المعارف أن وهب بن منبه قال: اسم الخضر: بلياً بن مالكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح^(٢) عليه السلام - وقال:

^(١) أنظروا عزو ذلك إلى الجمهور في تفسير القرطبي (١١/١٦ ط: دار الكتب) وتفسير البيضاوي بحاشية الشهاب (٦/١١٩ نشر دار صادر بيروت) وتفسير أبي السعود (٣/٢٥٩ ط: المصرية).

^(٢) هذا أحد الأقوال في نسب سيدنا الخضر وقد نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/٣٣٥ ط: البهية المصرية) هذه الرواية عن وهب وعقبها بقوله (فعلى هذا: فمولده قبل إبراهيم الخليل، لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم، وقد حكى الثعلبي قولين في أنه كان قبل الخليل أو بعده، قال وهب: وكنيته: أبو العباس. وثمة أقوال أخرى في نسبه ومولده سنعرض لها بعد.

قالوا: وكان أبوه من الملوك، ثم قال : اختلفوا في لقبه الخضر^(١) فقال الأكثرون: لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء - والفروة: وجه الأرض - وقيل : لأنه كان إذا صلى اخضر ما حوله!! والصواب الأول فقد صح في البخارى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما سمي الخضر: لأنه جلس على فروة فإذا هي تھتز من خلفه خضراء وبسطت أحواله في تھذيب الأسماء واللغات)^(٢). وتصرح لنا المصادر الموثقة عن هذه الشخصية الربانية بأنها في جملتها طراز فريد في العالم الإنساني حافل بالأعاجيب التي تخترق العوائد والنواميس. فمن ذلك: أن الإجماع منعقد على بقاء سيدنا الخضر حيا إلى آخر الزمان. وقد نقل الإمام النووي - وناهيك به حجة ووثوقا - هذا الإجماع على امتداد حياته إلى عصره ووجوده بين أظهر محاضريه، فيقول: ﷺ تحت عنوان باب "من فضائل الخضر ﷺ" ما نصه جمهور العلماء على أنه حي موجود بين أظهرنا أظهر وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة، وحكاياتهم في رؤيته، والاجتماع به، والأخذ عنه وسؤاله، وجوابه، ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من،

^(١) نقل العلامة الجمل في حاشيته على الجلالين (٣٥/٣) ثلاث لغات في الخضر إحداهما:

بكسر الخاء مع سكون الضاد، وثانيتهما وثالثتها: بفتح الخاء مع سكون الضاد وكسرها.

^(٢) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٦/١٣٦ ط: المصرية.

وأشهر من أن يحصر وأشهر أن يستر.

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: هو حى عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم فى ذلك، قال: وإنما شذ بإنكاره بعض المحدثين^(١)، وقد وردت روايات عديدة تفيد بقاء سيدنا الخضر عليه السلام وامتداد حياته بعد النبى صلى الله عليه وسلم إلى أقرب الساعة، ومن تلك الأحاديث والآثار ما يرتقى إلى درجة الحسن، ومنها الضعيف الذى يتقوى بوروده من عدة طرق بألفاظ مختلفة. فمن ذلك: ما أخرجه الدار قطنى - فى الأفراد - وابن عساكر عن الضحاك عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: (الخضر آدم لصلبه. ونسئ له فى أجله حتى يكذب الدجال)^(٢).

ونقل الحافظ ابن الحجر وعن الحافظ عبد الرزاق - فى مصنفه عن معمر أنه قال فى قصة الرجل الذى يقتله الدجال ثم يحييه: (يلغى أنه الخضر) ثم قال ابن حجر: وكذا قال إبراهيم بن سفيان السراوى عن مسلم فى صحيحه^(٣).

^(١) أنظر: نفس المصدر ١٣٥/١٦ - ١٣٦.

^(٢) أخرجه الحافظ بن حجر فى الفتح (٢٣٥/٦ - ٢٣٦ ط البهية) وأورد شطرة الثانى بلفظ (مد الخضر فى أجله حتى يكذب الدجال) كما أخرجه الإمام الآلوسى فى تفسيره (٣٢٢/١٥) واللفظ منه وعقبه بقوله: ومثله لا يقال من قبل الرأى.

^(٣) أنظر فتح البارى: ٣٢٧/٦ ط البهية المصرية.

وفي سبب بقاء سيدنا الخضر على نبينا وعليه السلام: أخرج ابن عساكر عن ابن إسحاق - في المبتدأ - رواية تعاضد ما سبق عن الإمام ابن عباس رضي الله عنهما، فيروى عن أصحابه أن سيدنا آدم - على نبينا وعليه السلام لما حضره الموت جمع بنيه فقال: يا بني إن الله تعالى منزل على أهل الأرض عذاباً، فليكن جسدك معكم في المغارة، حتى إذا هبطتم فابعثوا بي وادفنوني بأرض الشام، فكان جسده معهم، فلما بعث الله تعالى نوحاً ضم ذلك الجسد وأرسل الله الطوفان على الأرض فغرقت زماناً فجاء نوح حتى نزل بابلاً، وأوصى بنيه الثلاثة أن يذهبوا بجسده إلى الغار الذي أمرهم أن يدفنوه به، فقالوا: الأرض وحشة لا أنيس بها ولا تهتدى الطريق، ولكن كف حتى يأمن الناس ويكثروا، فقال لهم نوح: إن آدم قد دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة، فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي تولى دفنه، فأئجز الله تعالى له ما وعده، فهو يجيا إلى ما شاء الله تعالى له أن يجيا^(١).

وقد عقب العلامة الألوسي على هذه الرواية بقوله: (وفي هذا سبب طول بقائه، وكأنه سبب بعيد، وإلا: فالمشهور فيه: أنه شرب

^(١) خرج الحافظ ابن حجر هذه الرواية في الفتح - وفي ذات الموضع السابق ذكره - عن ابن إسحاق باختصار في ألفاظها، وخرجها الشهاب الألوسي في تفسيره (٣٢٢/١٥) كما أوردناها.

من عين الحياة حين دخل الظلمة مع ذى القرنين وكان على
مقدمته^(١).

وقد فصل الحافظ ابن حجر هذا السبب القريب المشهور في
طول بقاء سيدنا الخضر - على نبينا وعليه السلام - فقال: (وروى
حيثمة ابن سليمان من طريق جعفر الصادق عن أبيه أن ذا القرنين
كان له صديق من الملائكة، فطلب منه أن يدلّه على شئ يطول به
عمره، فدله على عين الحياة - وهى داخل الظلمة - فسار إليها
والخضر على مقدمته فظفر بها الخضر ولم يظفر بها ذو القرنين)^(٢).

وقد أسلفنا تأصيل وجود عين الحياة بخاصيتها من حديث الإمام
البخارى لدى عرض القصة في صحيح الحديث الشريف.

ولعل ترجيح العلامة الألوسى للسبب الأخير - فضلاً من
شهرة - معزاه أن السبب الأول مع بعده يعوزه التوثيق القوى
كتلك الروايات العديدة التى تنسب سيدنا الخضر إلى أبى البشر آدم
على نبينا وعليه السلام، أو إلى ابنه قاييل، أو إلى مالك بن عبد الله
ابن نصر بن الأزد، أو إلى عمائل بن النور بن الفيض بن إسحاق أو
إلى سبط سيدنا هارون عليه السلام، أو تذكر أنه ابن بنت فرعون

^(١) أنظر: روح المعاني للإمام الألوسى ٣٢٢/١٥ ط: المنيرة.

^(٢) أنظر فتح البارى: ٣٣٧/٦٠ ط: البهية المصرية. وانظر أيضاً فى الاصابة فى تمييز
الصحابة للحافظ بن حجر ١٠٤/٣ بتحقيق د/ طه الزين ونشر مكتبة الكليات الأزهرية.

أو انه ملك من الملائكة^(١).

وأيا كان النسب أو السبب في تعمير سيدنا الخضر - عليه السلام - فإن الذى يعنينا فى المقام الأول: هو جوهر شخصيته الربانية، ولقد كان من أبرز ما حفلت به تلك الشخصية من عطاء ربانى مؤكد بقاء حياتها الذى طوى الأزمان والأعمار لتظل عبر القرون معلما مضيئا من معالم الولاية لله عز وجل، فقد تأكدت لنا حقيقة بقاءه من نقل الإمام النووى والعلامة ابن الصلاح قول جماهير العلماء ببقاءه حيا، وقول ابن الصلاح بشذوذ من أنكرها من المتحدثين ثم بإيراد الحافظ ابن حجر وغيره العديد من الأحاديث الدالة على حياة سيدنا الخضر وبعضها بإسناد حسن...

... فقد روى الدار قطنى - فى الأفراد - عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما - مرفوعا - إلى النبى ﷺ أنه قال: (يجتمع الخضر وإلياس كل عام فى المواسم فيخلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. بسم الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله، بسم الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله، بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا

^(١) ساق ابن حجر - فى المصدر السابق - فى نسب سيدنا الخضر عليه السلام أقوالا عشرة واستبعد أكثرها لضعف إسناده وكان مما لم يعقب عليه وأسقطناه آنفا من نقل الإمام النووى عن ابن قتيبة.

بالله).

فهذا الحديث وإن ضعف إسناده لضعف أحد رواة - محمد ابن أحمد بن زيد - إلا إنه روى من طريق آخر برواية ابن عساكر - مفصلا - ثم روى بإسناد حسن عند الإمام أحمد رحمه الله حيث قال الحافظ ابن حجر إثر سياق روايته المذكورتين (ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن ابن رواد، وزاد: أنهما يصومان رمضان بيت المقدس) ^(١).

ومما ساقه الحافظ - في الفتح أيضا - للدلالة على حياة سيدنا الخضر بعد النبي ﷺ ما رواه ابن يعقوب بن سفيان في تاريخه، وأبو عروبة من طريق رياح بن عبيدة قال:

(رأيت رجلا يمشي عمر بن عبد العزيز معتمدا على يديه، فلمل انصرف قلت له: من الرجل؟ قال: رأيت؟ قلت: نعم. قال: أحسبك رجلا صالحا. ذاك أخي الخضر. بشرني أني سأولى وأعدل) ^(٢).
قال الحافظ: ابن حجر: لا بأس برجاله، ولم يقع لي إلى الآن خبر

^(١) أنظر: فتح الباري: ٣٣٧/٦ ط البهية المصرية والاصابة ١٢٠/٣ - ١٢٥. وفيض القدير للمناوى ٥٠٥/٣ ط: التجارية، وقد نقل القرطبي في تفسيره (٤٣/١١) عن عمرو بن دينار أنه قال (إن الخضر والياس لا يزالان حين في الأرض ما دام القرآن على الأرض).
^(٢) أنظر فتح الباري: ٣٣٨/٦ ط البهية.

ولا أثر بسند جيد غيره^(١).

وقد وردت جملة أحاديث في تعزية سيدنا الخضر للصحابية في وفاة النبي ﷺ يقوى بعضها بعضا، فمنها ما خرجه ابن حجر عن ابن أبي حاتم - في التفسير - بسنده إلى سيدنا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه - رضى الله عنهم أجمعين - أن سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: (لما توفي النبي ﷺ وجاءت التعزية، فجاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت إنما توفون أجوركم يوم القيامة) إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فأرجو فإن المصاب من حرم الثواب.

قال جعفر: أخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: تدرون من هذا؟ هذا الخضر^(٢).

^(١) الخضر في هذه العبارة إضافي لا حقيقي فهو خاص بأخبار اجتماع سيدنا الخضر ببعض الصحابة فمن بعدهم لا مطلقا كما صرح هو بذلك في نفس المصدر (٣٣٧/٦ - ٣٣٨).
بدليل تصحيحه وتحسينه لأحاديث وآثار أخرى في جملة الروايات المتناولة حياة سيدنا الخضر عليه السلام.

^(٢) أنظر: تفريج الحديث في الاصابة (١٢٧/٣ - ١٢٨) ويلي في ذات المصدر جملة من روايات ذكر تعزية المذكورة بنقد أسانيدها، وأنظر كذلك المستدرک للحاكم (٥٨/٣)

ثم لقد أكد الإمام العيني- في شرحه على البخاري- ما سبق
إيراده عن الإمام النووي- رضى الله عنهما- من تقرير بقاء سيدنا
الخضر حيا لدى جمهور العلماء والصالحين فقال: (فالجمهور-
خصوصا مشايخ الطريقة والحقيقة وأرباب المجاهدات والمكاشفات-
أنه حي يرزق، ويشاهد في الفلوات، وراه عمر بن عبد العزيز،
وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، ومعروف الكرخي، وسري
السقطي، وجنيد، وإبراهيم الخواص، وغيرهم رضى الله تعالى عنهم.
وفيه دلائل وحجج تدل على حياته. ذكرناها في تاريخنا الكبير)^(١).
ويتبقى لنا في هذا المعلم تحقيق القول في نبوة سيدنا الخضر أو
ولايته فنقول:

قد ورد عن العلماء في هذا الصدد أقوال أربعة:
أحدها: أنه نبي ورسول، وقد ذهب إلى ذلك ابن إسحاق
والرمانى وابن الجوزى وطائفة.

وثانيها: إنه نبي غير مرسل، وهذا متجه كثرة من العلماء، وقد
أخرج ذلك ابن أبي حاتم عن الإمام ابن عباس رضى الله عنهما،

واتحاف السادة المتقين للزبيدي (١٠/٣٠٠-٣٠٢)، وأنظر نقل القرطبي عن ابن عبد البر-
في التمهيد لهذه الرواية في تفسيره (٤٤/١١).

^(١) أنظر: عمدة القارى شرح صحيح البخارى للإمام العلامة بدر الدين العيني ٣٨/١٣ ط
الخلي.

وعزى هذا القول إلى الجمهور لدى بعض الأئمة.

وثالثها: إنه ولي غير نبي ولا رسول وهو قول أكثر العلماء ومتجه أئمة الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين، وقد صرح بعزو ذلك إلى أكثر العلماء العلامة الجلال المحلى، إذ قال فى تفسير قوله تعالى: (آتيناه رحمة من عندنا) نبوة فى قول وولاية فى آخر وعليه أكثر العلماء^(١).

ويترجح هذا القول على سابقه ولاحقه بأنه لم يرد نص فى التزويل أو السنة الصحيحة بنبوته أو رسالته، وقد رد العلامة الفخر فى تفسيره على حجج القائلين بنبوته^٢.

ورابعها: إنه ملك من الملائكة يتصور فى صورة الآدميين وهذا القول قد حكاه الماوردى ونقله عنه الإمام النووى، وتعقبه بأنه

^(١) أنظر: تفسير الجلالين بحاشية الجمل ٣/٣٥ ط : التجارية.

^(٢) ساق الفخر فى تفسيره (١٤٩/٢١) ست حجج استدلالية على نبوة سيدنا الخضر وتعقبها جميعا بالرد عليها فمن ذلك مثلاً: أنه تعالى قال: (آتيناه رحمة من عندنا) والرحمة هى النبوة بدليل قوله تعالى: (أهم يقسمون رحمة ربك). والمراد من هذه الرحمة النبوة. ولقائل أن يقول: نسلم أن النبوة رحمة، أما لا يلزم أن يكون كل رحمة نبوة. ومن ذلك: ما روى أن موسى عليه السلام لما وصل إليه قال: السلام عليك، فقال: وعليك السلام يا نبي بن إسرائيل! فقال موسى عليه السلام من عرفك هذا؟ قال: الذى بعثك إلى قبالوا: وهذا يدل على أنه إنما عرف ذلك بالوحى، والوحى لا يكون إلا مع النبوة، ولقائل أن يقول: لم لا يجوز أن يكون ذلك من باب الكرامات أو الإلهامات.

غريب باطل.

ومن ثم يعلم أن أقوى تلك الأقوال لدى العلماء هما القولان الثاني والثالث اللذان هما متجهان أكثرية العلماء على خلاف في أرجحية أحدهما على الآخر.

بيد أن الذى يترجح لدينا - كما سبق أن نوهنا - أن سيدنا الخضر - على نبينا وعليه السلام - ولى الله تعالى، وأن الرحمة فى قوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هى رحمة الولاية والقرب من الله عز وجل^(١).

وأن العلم فى قوله تعالى: ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ ليس مراداً به الوحي وإنما علم الإلهام عن الله تعالى كما فسرته العلامة البغوى بقوله: (أى علم الباطن إلهاماً) ثم أتبعه بقوله: (ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم)^(٢).

وأما المعلم الرابع: فهو ثبوت مشروعية تبعية المريد للشيخ المرشد فى طريق الله عز وجل والسعى إليه ليسلك به سبيل التحقيق،

^(١) نقل الشيخ إسماعيل حقى قدس الله سره فى (روح البيان ٥/٢٧٠) عن الشيخ نجف الدين داية رضى الله عنه أنه قال فى قوله تعالى: ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعنى جعلناه قلباً لفيض نور من أنوار صفاتنا بلا واسطة.

^(٢) أنظر تفسير الإمام البغوى المطبوع بمأمش تفسير الخازن ٤/٢٢٣ ط: الحلبي.

وليعلمه علوم المواهب والأسرار ويطلعه على بواطن الأشياء
وحقائقها في نفسها بعد تصفية الباطن وتحرير النفس وتطهير القلب
من العلائق الجسدانية واستغراق الروح في الأنوار الربانية.
وهذا المعلم مستفاد من قوله تعالى شأنه: (هل أتبعك على أن
تعلمن مما علمت رشداً)؟.

كما يؤخذ من إيراد الحديث الشريف لسبب ارتحال سيدنا
موسى إلى سيدنا الخضر على نبينا وعليهما السلام حيث قال ﷺ
(قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل:

فسئل: أى الناس أعلم؟ فقال أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم
يرد العلم إليه فأوحى الله إليه: إن لى عبداً يجمع البحرين هو أعلم
منك قال موسى: أى رب كيف لى به؟؟..) الحديث.^(١)

فبمجرد أن علم الكليم عليه السلام أن فى عباد الله من هو أعلم
منه توقدت همته وطلب الارتحال إليه بعزم أولى العزم وقال: (لا
أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا) وتحمل المشاق حتى
وصل إلى العبد الصالح طالبا منه أن يكون تابعا له - مع أفضليته وسمو
مقامه - ضاربا أروع المثل فى التواضع والأدب الرفيع والتصبر على

^(١) لفظ الحديث هنا من رواية الإمام مسلم فى صحيحه. أنظر صحيح مسلم بشرح
النوى ١٣٧/١٥.

ما ليس من مألوفات النفس حتى رأى من عجائب الآيات مدرأى،
وشاهد من الخوارق ما شاهد!!.

ومن التساؤلات الملحة التي تفرض نفسها على بساط
البحث: كيف كان سيدنا الخضر- وهو المفضول عن الكلیم- أعلم
منه؟ وكيف يتبع الأفضل مفضوله وينال منه تربيته وتعليمه؟ وهل
العلم الذي أبداه له في القصة مما يمكن تعلمه؟.

وجواباً عن التساؤلين الأولين معا يقول الشيخ إسماعيل حقی:
(قال شيخی وسندی روح الله روحه: تعليم موسى وتربيته
بالخضر إنما هو من قبيل تعليم الأكمل وتربيته بالكامل، لأنه تعالى
قد يطلع الكامل على أسرار يخفيها عن الأكمل وإذا أراد أن يطلع
الأكمل عليها أيضا فقد يطلعه بالذات وقد يطلعه بواسطة الكلل،
ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثله،
والكامل كامل مطلقا، والأكمل أكمل مطلقا والرجحان للأكمل
جدا، ولا تسمع إلى غير ذلك مما يقول الضالون.

وقول الخضر لموسى عليه السلام: (يا موسى أنت على علم
علمك الله.. وأنا على علم علمي الله..) إنما هو بناء على الامتياز
المعتبر بينهما بحسب الغالب في نشأة كل منهما، وإلا: فالعلم
للظاهر والباطن حاصلان في نشأة كل منهما، انتهى، وفهم منه:

جواب ما سبق من قوله: ﴿إِنْ لِي عَبْدًا يَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ﴾، فإن المراد إثبات أعلميته في علم من العلوم الخاصة دون سائرهما.

وقد انعقد الإجماع على أن نبينا عليه السلام أعلم الخلق، وأفضلهم على الإطلاق وقد قال:
(أنتم أعلم بأمور دنياكم)^(١)..^(٢).

وأما عن جواب التساؤل الثالث: فيقول الإمام فخر الدين الرازي رضوان الله عليه:-

"وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه"^(٣)، وموسى عليه السلام إنما ذهب إليه ليتعلم منه العلم فكان من الواجب على ذلك العالم أن يظهر له

^(١) رواه الإمام مسلم عن السيدة عائشة وعن سيدنا أنس رضى الله عنهما، وخرجه عنه الحافظ السيوطي رضى الله عنه في الجامع الصغير (١/١٠٨ ط الخلي الرابعة) بلفظ "أنتم أعلم بأمور دنياكم"

^(٢) أنظر: تفسير روح البيان للعارف بالله تعالى سيدى إسماعيل حقى رحمه الله ٢٧٤/٥.

^(٣) أى بدليل قوله تعالى حكاية عن سيدنا الخضر قوله لسيدنا موسى على نبينا وعليهما السلام "إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على نعت به خيرا) حيث نفى استطاعته الصبر معه فى تبعيته واستبعد حصوله على ما لم يقف الإنسان على حقيقته، ومناسط الاستبعاد: غلبة جانب علم الظاهر وعلم الرسالة أدى الكليم عليه السلام على جانب علم الباطن وعلم الولاية إذ الحكم للأغلب القاهر. ذكره صاحب روح البيان.

علماً يمكن له تعلمه، وهذه المسائل الثلاثة^(١) لا يمكن تعلمها فمما الفائدة في ذكرها وإظهارها؟؟.

والجواب: أن العلم بظواهر الأشياء يمكن تحصيله بناء على معرفة الشرائع الظاهرة.

وأما العلم ببواطن الأشياء: فإنما يمكن تحصيله بناء على تصفية الباطن وتجرید النفس وتطهير القلب عن العلائق الجسدانية، ولهذا قال تعالى في صفة ذلك العالم: "وعلمناه من لدنا علماً".

ثم إن موسى عليه السلام لما كملت مرتبته في علم الشريعة: بعثه الله إلى هذا العالم ليعلم موسى عليه السلام أن كمال الدرجة في أن ينتقل الإنسان من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على الإشراف على البواطن والتطلع على حقائق الأمور^(٢).

من ثم كان من ضرورة سلوك الطريق إلى الله عز وجل والوصول إلى العلم اللدني: اتخاذ الشيخ المرشد الذي عقدت له الآية الكريمة: "فوجدوا عبداً من عبادنا..." إلخ. شروطاً ثلاثة هي التحقق بالعبودية الكاملة التي ينتسب بها إلى جناب الحق تعالى ويصير عبداً

(١) هذه المسائل هي حرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار الواردة في آيات وأحاديث القصة.

(٢) أنظر تفسير الإمام فخر الدين الرازي (مفاتيح الغيب) ١٦٠/٢١ - ١٦١ ط — دار الفكر بلبنان.

ربانياً، ونيل رحمة الولاية والقرب الإصطفائي، ثم تلقيه للعلم اللدني من الله عز وجل كما بينا.

وبدون هذا الشيخ البصير بمعالم الطريق إلى الله تعالى هيهات أن يتحقق الوصول، كما لا يتسنى لسفينة أن تصل إلى شاطئ الأمان بدون مرشد، ومن ثم قال العارفون: "كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له، دعى لا نسب له"^(١).

وقال الإمام العارف سيدى أبو يزيد البسطامي ؑ "من لم يكن له شيخ فشيوخه الشيطان"^(٢).

إنما التزكية التى لا بد فيها من المزكى والمزكى والقائد والطبيب والمعلم والقُدوة الحسنة، ليتحقق منهج الاتباع الذى ربي عليه الرسول الأعظم ﷺ أصحابه بمنهج الله كما يتمثل فى قوله تعالى "هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة..^(٣)

فليس البعث مقصور الغاية على التبليغ وإنما مع التبليغ تزكية وتعليم وإرشاد.

^(١) أنظر: روح البيان ٢٦٤/٥.

^(٢) أنظر: تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى ؑ ٢٦٤/٥.

^(٣) سورة الجمعة: ٢.

ومنهج الاتباع هو المتمثل في قوله "هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً" حيث راعى الكلیم علیه السلام فيه أرفع أنواع الأدب فجعل نفسه تابعاً للعبد الصالح وبدأ باستثذانه في هذه التبعية كأنه قال: هل تأذن لي أن أجعل نفسي تابعاً لك؟؟ ثم عقد التبعية بشرط أن يكون متعلماً والعبد الصالح معلماً، ثم بالغ في التواضع بالإتيان؟ (يمن) في قوله "مما علمت" وهي دالة على التبعية كأنه قال: لا أطلب مساواتك في العلوم وإنما أريد بعضاً من علومك كالفقير الذي يطلب من الغني جزءاً من ماله، ثم أتى بقوله "رشداً" لطلب الإرشاد والهداية، والإرشاد: هو الأمر الذي لو لم يحصل لحصل الضلال والغواية^(١).

ثم يكون رد سيدنا الخضر بعد كل ذلك: "إنك لن تستطيع معي صبراً" ويفسر ذلك الإمام القرطبي بقوله: (أى: إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الظواهر التي هي علمك لا تعنيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب؟ وهو معنى قوله "وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً"^(٢).

^(١) أنظر: التفسير الكبير للفخر الرازي ١٥٢/٢١ وروح البيان ٢٧٣/٥.

^(٢) أنظر: تفسير القرطبي ١٧/١١.

إن تعليل نفى الاستطاعة عن الكلیم قد كمن سره فی قول العبد الصالح له: "یا موسى إني علی علم من الله علمیه لا تعلمه أنت، وأنت علی علم من الله علمك الله لا أعلمه".

فقد أبرز مكنونه الإمام عبد القادر الجزائري رحمته الله فقال: (یرید: أنت علی علم الرسالة وملاحظة الأسباب فی الأفعال والتروك، والحكم بالشاهد واليمين، والإقرار والإنكار، ونحو ذلك من الوقوف مع ظواهر الأشياء مأمور بسياسة بني إسرائيل، والتستر لعقولهم، فلا ينبغي لی أن أعلمه، بمعنى: لا فائدة لی فی العلم به إذ العلم المتعلق بالأکوان إنما یراد للعمل به، وأنا مأمور بالحكم بخلافه، وهو الحكم بالكشف وملاحظة الأمور والأسباب الغائبة، وبما یرد علی القلب من الخواطر الربانية التي لا تخطيء، فلا ينبغي لك أن تعلمه لأنك مأمور بخلافه)^(١).

ثم یضيف الإمام عبد القادر تنويراً بحقيقة هذا الاختلاف الذي یوهم أفضلية العبد الصالح علی الكلیم وانتفاء معرفة الكلیم بعلوم الحقائق والمکاشفات فيقول علیه الرضوان:

(وهذا الاختلاف بينهما إنما هو فی العلوم المتعلقة بالأکوان. وأما العلم بالذات العلية والصفات الإلهية: فكل منهما علی غاية الكمال،

^(١) أنظر: کتاب المواقف لسیدی عبد القادر الجزائري رحمته الله ١/٣٠٦.

كما يليق بمقام النبوة وبمقام الولاية العظمى، مقام القربة، وهو للأفراد، والخضر عليه السلام منهم، فإن الخضر غير نبي بلا شك عندي، وكما هو عند المحققين من علماء الباطن والظاهر^(١).

شروط تبعية المريد للشيخ:

ثم بعد أن قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليهما السلام: "وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً؟؟" تعليلاً لنفي الاستطاعة معه: وضع الكلیم ﷺ نفسه مع العبد الصالح موضع الاتفاق والمشاركة فقرر على نفسه شرطين في صحبته لسيدنا الخضر فقال: "ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً".

ولم يكتف سيدنا الخضر ﷺ بالشرطين فأضاف شرطاً ثالثاً إذ قال: "فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً".

ومن هذه الاتفاقية المشروطة نستخلص من آي القصة القرآنية في إطار معلم شرعية التبعية للشيخ المرشد في طريق الله - شروطاً ثلاثة لصحبة المريد لشيخه في الطريق وهي:

أولاً: الصبر والثبات وحبس النفس عن الجزع في مراحل الصحبة للشيخ.

وثانياً: الطاعة وعدم العصيان، وحسن الامتثال للأوامر

^(١) أنظر: نفس المصدر.

والنواهي.

وثالثا: التسليم وعدم الاعتراض، وعدم المبادرة بالسؤال عن شيء حتى يحدث الشيخ لمريده ذكره منه.
وينبغي أن يلاحظ أن هذه الشروط الواجب توافرها في المرید إنما تعقد مع من توفرت فيه صلاحية الإرشاد والمشيخة بشروطها السابق ذكرها.

وعلى هدى تلك الشروط كانت صحبة الكليم للعبد الصالح على نبينا وعليهما السلام "فانطلقا" ..

وكانت المشاهد والخوارق والمكاشفات والمعالم والآيات.
ومن لطائف أسرار هذه القصة الخضرية - فيما يتعلق بمغزى تبعية سيدنا موسى للعبد الصالح - ما كشف عنه سيدي علي وفا عليه السلام إذ يقول:

(إذا رأيت أن الخضر عليه السلام قسمت له الحياة إلى إدراك الزمن الحمدي. فما طلب موسى بفتاه السبيل إليه إلا من باب معنى قول القائل. لعل أراهم أو أرى من يراهم)^(١).

لقد كان حدث اللقاء الموسوي الخضري مستهدفا للعديد من

(١) أنظر: طبقات الإمام العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمته الله ٢٣/٢ ط — الشرفية.

المقاصد والغايات ومناطا لجملة من الحكم والأسرار، وهذا شأن جلائل الأحداث وعظائم الأمور التي تقع في حياة الأنبياء والصفوة من عباد الله تعالى، ومن ثم: فلا غرابة أن يرد لهذا الحدث الجلل أكثر من باعث، وهدف وسبب وغاية، وسر، وحكمة، ومقصد، وها هو ذا سيدى على وفا عليه الرضوان يورد مقصدا آخر لملاقاة الكليم للعبد الصالح عليهما السلام فيقول: إنما لقى موسى عليه السلام الخضر بفتاه ليجمع لفتاه بين بحر الرسالة من نبوته، وبحر الولاية من خصوصية الخضر عليه السلام ^(١).

والسر في ذلك: أن حكم الولي مع حكم الرسول الذي يلزمه شريعته كحكم النجم مع حكم الشمس، وذلك كما أن النص إذا وجد إندرجت أحكام الاجتهاد كلها تحته، وكان الحكم حكم النص، وإذا غاب النص رجع كل مجتهد إلى حكمه، فكما أن كل مجتهد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم مندرج في حكمه إن أثبتته ثبت، وإن نفاه انتفى، كذلك حكم ولي مع رسول، وأما في زمن أبي بكر ومن

^(١) هذا القول يفيد تفسير (بجمع البحرين). يلتقى الكليم والعبد الصالح عليهما السلام وهو منته في التفسير ذكر نحوه الفخر في تفسيره (١٤٦/٢١) فقال "ومن الناس من قال: البحرين: موسى والخضر لأنهما كانا بحري العلم" ففيه حمل على المجاز، وأما من حمل اللفظ على الحقيقة فقد فسر "بجمع البحرين" بعدة أقوال أشهرها قول الإمام قتادة: أنه ملتقى بحر فارس والروم. أنظر القرطبي (٩/١١) دار الكتب).

بعده الخلفاء فلكل مجتهد حكمة لا يلزمه اجتهاد غيره.

فهكذا كان أولياء بنى إسرائيل فى حياة موسى مندرجى الحكم فى حكمه، فلما دنت وفاته، وتوارى شمس رسالته بحجاب خليفته الذى يستخلفه بعده، وكان ذلك الخليفة هو فتاه الذى قصد به الخضر عليه السلام: علم أن أحكام أهل الولاية ستظهر فى زمان ذلك الفتى، فأراه كيف يكون معاملته لهم إذا ظهر فى زمن خلافته وجمع له بين أمرى الرسالة والولاية فقال: "لا أبرح" أى لا أموت "حتى أبلغ مجمع البحرين" أى فىك "أو أمضى حقبا" أو أعيش إلى أن يحصل ذلك ولو عشت حقبا "فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوقما" ثم كان من الأمر ما قص الله علينا فى الكتاب، فعلمه: أن يسلم للأولياء باطنا وإن اقتضى الشرع إنكار شىء من أمرهم، أنكره ظاهرا على جهة الاستعلام كى لا يتشبه بأحكامهم من ليس فى مقامهم^(١).

وقد أضاف سيدى على وفا عليه السلام سرا رائعا لملاقاة سيدنا موسى لسيدنا الخضر عليهما السلام يتبدد به وهم الحائر إذ قال (الخضر عليه السلام مظهر عرفانى رأى فيه موسى عليه السلام حين وجوده ما سأل فى

^١ أنظر: الطبقات الكبرى للإمام الشعراى رحمته الله ٢٣/٢ ط الشرفية.

^٢ نفس المصدر.

مقامه العرفاني أن يراه في شهوده وذلك المظهر كان منه وإليه
فافهم .

وأما (المعلم الخامس) فهو ثبوت كرامات الأولياء ومكاشفتهم
بالمغيبات التي سترها الله تعالى عن المجنّوبين من عامة الخلق على ما
شاء الله تعالى.

يقول الإمام القرطبي في تفسيره: (كرامات الأولياء ثابتة على ما
دلت عليه الأخبار الثابتة، والآيات المتواترة، ولا ينكرها إلا المبتدع
الجاحد، أو الفاسق الحائد، فالآيات: ما أخبر الله تعالى في حق مريم
من ظهور الفواكه الشتوية في الصيف والصيفية في الشتاء- على ما
تقدم- ما ظهر على يدها حيث أمرت النخلة وكانت يابسة
فأثمرت^(١).

وهي ليست بنبية، على الخلاف، ويدل عليها ما ظهر على يد
الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة

(١) يعني قوله تعالى: (.. كلما دخل عليها زكريا المحراب وجدها عندها رزقا قال يا مريم
أن لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) من الآية الكريمة
٣٧ من سورة آل عمران.

الجدار^(١)...^(٢)

وإني لأسائل - وبين أيدينا شواهد التريل ناطقة - أولئك الذين ينكرون وقوع الكرامات على أيدي أولياء الله المقربين وإطلاعهم على ما شاء الله تعالى لهم من مكنون غيبه:

كيف علم العبد الصالح - سيدنا الخضر عليه السلام - أن السفينة التي ركبها مع الكليم وفتاه عليه السلام كانت لمساكين يعملون في البحر، وأن وراءهم ملكا كافرا يدعى جلندى كان يغتصب كل سفينة صالحة فخرقها ليراها جنوده معيبة فيتركوها لأصحابها فيستعملوها بعد إصلاحها اليسير؟.

ومن أطلع العبد الصالح على حال الغلام الذي كان أبواه مؤمنين وهو في علم الله مطبوع على الكفر والطغيان ولو بقي حيا لأرهبق أبويه طغيانا وكفرا ولذهب الثلاثة إلى الجحيم، فكان في قتله نجاة الثلاثة وإبدال الأبوين خيرا منه.

حيث روى أنه ولدت لهما جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا هدى الله تعالى على أمة من الأمم؟!.

ومن أعلم سيدنا الخضر عليه السلام أن الجدار الذي أقامه كان

^(١) يعني قوله تعالى ﴿وهزى إليك يجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ الآية الكريمة ٢٥ من سورة مريم.

^(٢) أنظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ٢٨/١١ ط دار الكتب.

لغلامين يتيمين بمدينة انطاكية - أو غيرها - وكان تحتَهُ كثر لهما من الذهب والفضة وكان أبوهما - الذى هو الجد السابع لهما - صالحاً، فكانت إقامة الجدار تنفيذاً لإرادة الله تعالى بلوغ أشدهما واستخراج كثرهما ولولا أنه أقامه لانقض وخرج الكثر من تحتَهُ قبل بلوغهما واقتدارهما على حفظ مالهما؟^(١).

إنه إلهام الله تعالى لوليه وإطلاعه على خفايا الأمور الحاضرة والمستقبلية لتنفيذ أوامره، إذ قال: (وما فعلته عن أمرى) أى عن رأيى واجتهادى بل بأمر من له الأمر وهو الله سبحانه وتعالى^(١).

وإذا كانت الكرامات التى تجلت فيما ذكر من الوقائع الثلاث تعد من باب الكشف والعلم كما ذكر ابن تيمية فى مجموع فتاويه، فإن هذه الوقائع قد تضمنت أيضاً من الكرامات ما هو من قبيل القدرة والتأثير، إذ أورد القرطبى فى تفسير قوله تعالى: (فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه) ما نصه:

(وقال سعيد بن جبیر: مسح بيده وأقامه فقام، وهذا القول هو

^(١) أنظر: تفسير العلامة البغوى بهامش تفسير الخازن (٤/٢٢٨ ط الخلى) وتفسير الإمام القرطبى ١١/١-٣٩ وتفسير الإمام الألوسى ١٦/١٤ وتفسير الشيخ إسماعيل حقى ٥/٢٨٣-٢٧٨ تم أنظر أيضاً تفسير السراج المنير للإمام الخطيب الشربيني ٢/٤٠٠.

الصحيح^(١)، وهو الأشبه بأفعال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل والأولياء.

وفي بعض الأخبار: إن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعاً بذراع ذلك القرن، وطوله على وجه الأرض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعاً، فأقامه الخضر عليه السلام، أى سواه بيده فاستقام^(٢)!!.

ومن الكرامات المنوطة بشخصية سيدنا الخضر عليه السلام على العموم، وفي هذه الوقائع على الخصوص: اختفاؤه عن الأعين مع وجوده، فلا يظهر إلا عند الحاجة إليه بمقتضى الحكمة وقد يكون ظهوره نسبياً لشخص دون آخر، يؤيد ذلك ما ذكره الإمام الألوسي قدس الله سره بقوله:

(والظاهر أن أهل السفينة لم يروه لما باشر نحرقتها، وإلا لما مكنوه وقد نص على ذلك على القارى).

وأخرج وابن المنذر ابن أبي الحاتم عن أبي العالية - من طريق حماد ابن زيد عن شعيب ابن الحبحاب - أنه قال: (كان الخضر عبداً لا تراه إلا عين من أراد الله أن يريه إياه، فلم يره من القوم إلا موسى

^(١) هذا التصحيح ترجيح من القرطبي لهذا القول على ما أورده قبله بقوله (قيل: هدمه ثم قعد بينه)

^(٢) أنظر: تفسير القرطبي ٢٧/١١ - ٢٨.

عليه السلام، ولو رآه القوم لحالوا بينه وبين خرق السفينة، وكذا بينه وبين قتل الغلام)..^(١).

وأما (المعلم السادس) الذي نستقيه من قصة سيدنا موسى مع العبد الصالح عليهما السلام: فإنه: ثبوت أنه لا مخالفة بين الشريعة والحقيقة، ولا بين الظاهر والباطن على الحقيقة، وأن حقيقة العلاقة بين الشريعة والحقيقة إنما هي التلازم أو الاتحاد.

وقد تجلّى ذلك بوضوح في آيات القصة وفي مسارها إلى غايتها بما لا يدع مجالاً للممارة، واللجاج، والتعنت في إدعاء مخالفة الحقيقة للشريعة حيث يجد الطعن سبيله إلى التصوف.

^(١) أنظر نفس المصدر ٢٠/١١ وتفسير الإمام الألوسي ٣٣٧/١٥.

وللمزيد من تجلية أمر ظهور سيدنا الخضر وخفائه عليه السلام يقول سيدى على وفى عليه الرضوان: (النفس ما له الادراك والروح ما به الادراك فى كل مقام بحسبه، ومن هنا سمى القرآن روحا وعيسى روحا وجبرائيل: روح الوحي المرسل فى المعانى الجلالية، وميكائيل: روح هذا الوحي فى المراتب الجمالية، ولذلك: كانت آية الياس النار تسير معه، حينما سار، وأما الخضر: فإنه جلس على الأرض اليابسة فاحضرت وحيث جمع لموسى بين النار والشجرة فى تجلية وتم له ذلك. ظهر له عين الأمرين فى الياس قومه وخضرهم، ولذلك كان الياس للأولياء كجبريل للأنبياء وكان أكثر من يراه أصحاب المجاهدات: والخضر لهم: كميكائيل، وأكثر من يراه أصحاب المشاهدات، ولا يظهران لأحد إلا متمثلين من غيبة إلى شهادته، ويأهما كل أحد بحسب حاله ومقامه، ويأهما فى الآن الواحد جماعات متفرقون فى أماكن متباعدة على هينات مختلفة، ولا يظهران معا إلا لمن له روح الكمال ذات جلال وجمال فافهم)، انظر طبقات مولانا الامام الشعرانى رحمه الله ٢٤/٢ ط الشارقة.

فلقد كان سيدنا موسى - على نبينا وعليه السلام - في هذه القصة في مقام التشريع واقفا مع الظاهر متمسكا بأحكام العبادة التي شرعها الله تعالى، فارتحل بفتاه إلى سيدنا الخضر عليه السلام طلبا للعلم وصحبة أهل الحقيقة، ورغم توثيق الشروط بينهما للصحة والتبعية كان منه الإنكار والاعتراض لدى صدور ما لا يقر الشرع ظاهره حتى إذا انقضت الوقائع الثلاث ولم يتسن - لوقوفه مع ظاهر الشريعة - قيامه بالشروط الثلاثة المبرمة بينهما كان الفراق، لأن العبد الصالح كان في مقام التحقق مشاهدا للحق تعالى فاعلا عن أمره فانيا عن الأسباب قائما بالمسبب جل وعلا، بصيرا ببواطن الأشياء وسرائرها، فكان بوقوفه مع الحقيقة عن كشف ويقين منفذا لأوامر الله عز وجل.

ولأن الحقيقة في حقيقتها لا تخالف الشريعة، ولأن الباطن في حقيقته لا يناقض الظاهر في حكمه كان محكم التزيل ناطقا بتأويل الظاهر - الذي أوهم ظهوره مخالفة الشريعة - برده مع كشف الحقيقة إلى عين الشريعة ليتجلى في ضوء التزيل الحكيم أن الشريعة والحقيقة وجهان لعملة واحدة، وما الأمر إلا ظهور وبطون، وجلاء وخفاء.

فكانت نهاية مطاف الوقوف مع ظواهر الشريعة بعد الإنكار

المتتابع قول العبد الصالح: (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تسطع عليه صبرا).

كان الكلیم علیه السلام واقفا فی هذا المقام مع الإيمان بالغیب علیمًا بالأمر والنهی ملتزما بالعبودية والغیرة لأحكام الله تعالى. وكان العبد الصالح علیه السلام متحققا بانکشاف العلم اللدنی والمشاهدة فاعلا بالله تعالى فی خلقه عن أمره، فلم یکن بعد کشف السر تعارض ولا اختلاف.

ولقد أكد أئمة الصوفیة العارفين بالله تعالى علاقة التلازم بین الشریعة والحقیقة، فیقول الإمام القشیری قدس الله سره (الشریعة أمر بالتزام العبودیة). والحقیقة: مشاهدة الربوبیة، فکل شریعة غیر مؤیدة بالحقیقة فغیر مقبول وکل حقیقة غیر مقیدة بالشریعة فغیر محصل، فالشریعة جاءت بتکلیف الخلق. والحقیقة إنباء عن تصریف الحق، فالشریعة أن تعبده والحقیقة أن تشهد، والشریعة قیام بما أمر، والحقیقة شهود لما قضی وقدر، وأخفی وأظهر^(١).

ثم یقول شیخ الإسلام سیدی زکریا الأنصاری رحمته الله.
(.. الشریعة: معرفة السلوك إلى الله تعالى، والحقیقة: دوام النظر

^(١٢١) أنظر الرسالة القشیریة وشرحها لشیخ الإسلام سیدی زکریا الأنصاری ٩٣/٢ نشر الدروی وعرفه بدمشق.

إليه والطريقة: سلوك طريق الشريعة أى: العمل بمقتضاها، وبعضهم لم يفرق بينها وبين الشريعة فالشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطن الشريعة وهما متلازمان لا يتم إحداهما بالآخر^(١).

ثم نجد علما من شوامخ أعلام التصوف الإسلامى وهو الإمام أحمد الفاروقى السرهندى مجدد الآلف الثانى قدس الله سره يقرر عدم المغايرة بين الشريعة والحقيقة، ويدحض زعم المخالفة بينهما أو التغاير بين الشريعة والطريقة أصلا فيقول: (إن قوما مالوا إلى الإلحاد والزندقة يتخيلون أن المقصود الأصلي وراء الشريعة!! حاشا وكلا ثم حاشا وكلا، نعوذ بالله من هذا الاعتقاد السوء، فكل من الطريقة والشريعة عين الآخر، لا مخالفة بينهما بقدر رأس الشعيرة، وكل ما خالف الشريعة مردود وكل حقيقة ردتها الشريعة فهي ذندقة)^(١).

ويضيف عليه الرضوان أن تبياناً رائعا يجسد به حقيقة كل من الشريعة والطريقة والحقيقة بالمثال ويتبعه بتحليل ما قد يظهر لدى بعض السالكين مما يخالف ظاهر الشريعة فيقول فى هذا المبحث من مکتوباته: (..والباطن متمم للظاهر ومكمل له لا مخالفة بينهما مقدار شعرة مثلاً: عدم نطق اللسان بالكذب شريعة، ونفى خاطر

^(١) أنظر مکتوبات الإمام الربانى سيدى أحمد الفاروقى: المکتوب الثالث والأربعين

الكذب عن القلب إن كان بالتكلف والتعمل فهو طريقة، وإن تيسر
بلا تكلف فهو حقيقة، ففي الجملة: الباطن الذى هو الطريقة
والحقيقة مكمل للظاهر الذى هو الشريعة، فالسالكون سبيل
الطريقة والحقيقة إن ظهر منهم فى أثناء الطريق أمور ظاهرها يخالف
للشريعة ومناف لها فهو من سكر الوقت وغلبة الحال، فإذا تحلوزوا
هذا المقام ورجعوا إلى الصحو ارتفعت تلك المنافا بالكلية وصارت
تلك العلوم المضادة بتمامها هباء منثوراً^(١).

ويقول قدس الله سره (اعلم أن الشريعة والحقيقة متحدان فى
الحقيقة، ولا فرق بينهما إلا بالإجمال والتفصيل، والاستدلال
والكشف، بالغيب والشهادة، وبالتعمل وعدم العمل، وللشريعة من
ذلك الأول، وللحقيقة الثانى. وعلامة الوصول إلى حقيقة حق اليقين
مطابقة علومه ومعارفه لعلوم الشريعة ومعارفها، وما دامت المخالفة
موجودة ولو أدنى شعرة فذلك دليل على عدم الوصول، وما وقع فى
عبارة بعض المشايخ من أن الشريعة قشر والحقيقة لب فهو وإن كان
مشعراً بعدم استقامة قائله ولكن يمكن أن يكون مراده: أن الجمل
بالنسبة إلى المفصل حكمه حكم القش بالنسبة إلى اللب)^(٢).

(١) أنظر نفس المصدر: المکتوب الحادى والأربعين ٥٤/١، وروح المعانى للإمام الآلوسى

١٨/١٦.

(٢) أنظر المصدر الأخير ١٩/١٦.

ترى: هل هنالك غيرة وحرص على شريعة الله ووضع للأمور في نصابها يسموا إلى هذا الشأن السامق الذى شعت منه كلمات هذا الإمام الصوفي العارف لتقشع غياهب الجهل بحقيقة التصوف الإسلامى وتدحض مزاعم الحيلولة بين الشريعة والحقيقة؟؟.

إنه منطلق الصوفية العارفين بالله تعالى، أهل التشريع والتحقيق يؤكد تلازم الشريعة والطريقة والحقيقة والاتحاد بين الظاهر والباطن.

ثم نأتى إلى (المعلم السابع) وهو: إن المقصد الأسمى للسالكين لطريق الله تعالى ليس هو حصول العلم اللدنى والمكاشفات أو المشاهدات أو الأحوال والمقامات وإنما هو الوصول إلى الله تعالى أى إلى مقام الرضا هو ذروة السعادات وتحقق بالعبودية الكاملة لله تعالى فذاك أشرف الغايات.

يدلنا على ذلك ابتداء: تصدر انتساب العبد الصالح- سيدنا الخضر عليه السلام- إلى الله تعالى بوصف العبودية الكاملة على وصف إيتاء الرحمة وتعليم العلم اللدنى فى قوله تعالى: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا..﴾ الخ.

كما يعلم من أفضلية الكلم وأكملته بالنسبة إلى العبد الصالح

رغم وقوع المكاشفات والخوارق من العبد الصالح.
وفي إطار هذا المعلم: يلقن العارفون بالله تعالى درساً للسالكين
والقاصدين، فيقول الإمام الآلوسي قدس الله سره: (..ثم إن تلك
الغيوب والمكاشفات بل سائر ما يحصل للصوفية من التجليات ليس
من المقاصد بالذات، ولا يقف عندها الكامل، ولا يلتفت إليها.
وقد ذكر الإمام الرباني مجدد الألف الثاني قدس الله سره - في
المكتوب السادس والثلاثين المتقدم نقل بعضه - أن تلك المكاشفات
والتجليات تربي بها أطفال الطريق، وأنه ينبغي مجاوزتها والوصول إلى
مقام الرضا الذي هو نهاية مقامات السلوك والجذبة، وهو العزيز لا
يصل إليه إلا واحد من ألوف...!! ثم يتبع ذلك بقوله ﷺ.
(ويعلم مما ذكر: أن موسى عليه السلام أكمل ممن الخضر،
أعلمية الخضر عليه السلام بعلم الحقيقة كانت بالنسبة إلى الحالة
الحاضرة، فإن موسى عليه السلام عبر عن ذلك ولم يقف عنده، لأنه
في مقام التشريع، ولعل طلبه التعليم كان بالأمر ابتلاء له بسبب
تلك الفلقة؟^(١))

وقد ذكروا أن الكامل كلما كان صعوده أعلا كان هبوطه
أنزل، وكلما كان هبوطه أنزل كان في الإرشاد أكمل وفي الإفاضة

^(١) أى بسبب قوله لمن سأله أى الناس أعلم: أنا.

أتم، لمزيد المناسبة حيثند بين المرشد والمسترشد، ولهذا قالوا فيما يحكى: إن الحسن البصرى وقف على شط نهر ينتظر سفينة، فجاء حبيب العجمى فقال له: ما تنتظر؟ فقال سفينة، فقال: أى حاجة لك إلى السفينة؟ أما لك يقين؟ فقال الحسن أما لك علم؟ ثم عبر حبيب على الماء بلا سفينة ووقف الحسن، إن الفضل للحسن، فإنه كان جامعاً بين علم اليقين وعين اليقين، وعرف الأشياء كما هى. وفى نفس الأمر: جعلت القدرة. مستورة خلف الحكمة، والحكمة فى الأسباب، وحبيب صاحب سكر لم ير الأسباب فعومل برفعها، ومن هنا يظهر سر قلة الخوارق فى الصحابة^(١).

وبعد: فهذه رءوس المعالم الصوفية فى قصة موسى مع سيدنا الخضر على نبينا الأعظم وعليهما الصلاة والسلام تتجلى فيها أصول التصوف الإسلامى فى أروع صورها وأروع مراتبها لتكون حجة لأولياء الله تعالى فى وجه المنكرين وسند الأنصار الصوفية المحققين جعلنا الله منهم ببركة سيدنا محمد سيد الأولين والآخريين صلى الله عليه وسلم.

تم بحمد الله تعالى إعداد هذا البحث فى الثالث عشر من شهر

(١) أنظر: روح المعانى للإمام الألوسى ٢٠/١٦.

رمضان المبارك ١٤٠٧ هـ في رحاب سيد الشهداء مولانا الإمام
الحسين عليه السلام وأرضاه ورضى عنا به آمين.
أ.د جودة محمد أبو اليزيد المهدي



Bibliotheca Alexandrina



0432300

To: www.al-mostafa.com